ضوابط منهجية لدراسة علم الاستغراب: رؤية إسلامية

تركي بن خالد الظفيري (*)
جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

(قدم للنشر في 1442/3/3هـ، وقبل للنشر في 1442/6/5هـ)

مستخلص البحث: يُعنى هذا البحث بالاستغراب، مفهومه وضوابطه ودوافعه، رؤية إسلامية. ويهدف إلى: التعرف على مفهوم الاستغراب ودوافعه، مقارنة بمفهوم ودوافع الاستشراق، وبيان الضوابط المنهجية لدراسة الغرب وفق المنهج الإسلامي. منهج البحث: المنهج الاستقرائي والاستنباطي. ومن أهم نتائج البحث: أن المنهج الإسلامي يوجب علينا التعامل مع الاستغراب بطريقة تختلف عن تعامل المستشرقين، وأن الدافع الديني للاستغراب ينحصر في الدعوة إلى الإسلام، وتصحيح المفاهيم، وتقوية المجتمعات الإسلامية في الغرب- الأقليات المسلمة – واستثمارها في نشر الخطاب الإسلامي الصحيح، أما الدافع العلمي للاستغراب فينطلق من حاجة المسلمين للتقدم العلمي عند الغرب، وأوضح البحث الضوابط المنهجية للتعامل مع الاستغراب وفق الرؤية الإسلامية. من هذه الضوابط: الإسلام حفظ حق الكرامة الإنسانية ونهى عن العنصرية، التعامل بالعدل، والدعوة إلى الإسلام، الثقة بالهوية الإسلامية وتجنب عقدة الدونية.

كلمات مفتاحية: الاستغراب، الاستشراق، الغرب

***

Systematic Controls for Studying Westernization -Islamic Vision

Turki Khalid Aldhafiry (*)
Prince Sattam Bin Abdulaziz University

(Received 20/10/2020, accepted 19/1/2021)

Abstract: This research discusses westernization, its concept, principles and motives in light of an Islamic perspective.
The Goals of the Research: To identify the concept of westernization and its motives in comparison to the concept and motives of Orientalism, and to explain the methodological principles for studying the westernization according to the Islamic approach.
Some Important Results of the Research: The Islamic approach requires that we should deal with westernization in a way that differs from orientalists' deal, and that the religious motive for westernization is limited to calling to Islam, correcting concepts, and strengthening Islamic societies (Muslim minorities) in the West, and using it for spreading the correct Islamic discourse. However, the scientific motive for westernization stems from the Muslims' need to scientific progress that has been prevailed in the West. This research has also explained the methodological principles for dealing with westernization according to the Islamic perspective which is following as that the Islam preserved the right to human dignity and forbade racism, encouraged to deal with justice, to call for Islam, to be confident with Islamic identity and avoid inferiority complexity.

Keywords: Westernization, Orientalism, The West

(*) للمراسلة:

أستاذ مشارك، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز، ص ب: 10026، رمز بريدي: 11635 المدينة الرياض، المملكة العربية السعودية.

(*) Corresponding Author:

Associate Professor, Islamic Studies, Faculty of Education, Prince Sattam Bin Abdulaziz University, P.O. Box: 10026, Code:11635, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia.

e-mail: turkialdafiri@gmail.com

DOI: 10.12816/0061402

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

مكث الاستشراق قروناً يدرس العالم الإسلامي بكل تفاصيله الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، مما جعل كثيرًا من الباحثين يناقشون وينتقدون نواتج الاستشراق العلمية والفكرية، ولم تتبلور فكرة مشروع للمبادرة في دراسة الغرب لإيصال الصورة الصحيحة عن العرب والمسلمين، ولمعرفة الآخر بكل مكوناته حتى يتعامل معه بطريقة مجدية ويعود نفعها للعالم الإسلامي.

حاول بعض الباحثين طرح فكرة الاستغراب كرد فعل للاستشراق، وتنوعت الكتابات بين مقالات ودراسات وكتب، إلا أن المشروع لم يتبلور بعد، خاصة البعد الشرعي منه، فالتواصل مع الآخر -غير المسلم- تضبطه ضوابط شرعية يجب التقيد بها، حتى لا نحيد عن منهجنا الإسلامي.

وهذا البحث عنونته بـ» ضوابط منهجية لدراسة علم الاستغراب -رؤية إسلامية» وسأسلط الضوء على فكرة الاستغراب من وجهة نظر إسلامية، والله أسأل العون والتوفيق والسداد.

مشكلة البحث:

هناك عدد من الكتابات حول الاستغراب إلا أنها لم تضع ضوابط منهجية شرعية لدراسة الغرب، لذا كان هذا البحث يناقش مفهوم الاستغراب ودوافعه، ويضع الضوابط المنهجية لدراسة الغرب وفق المنظور الإسلامي.

حدود البحث:

هذا البحث يناقش مفهوم ودوافع الاستغراب، مقارنة بمفهوم ودوافع الاستشراق، ويبين الضوابط المنهجية لدراسة الغرب وفق الرؤية الإسلامية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى هدفين رئيسين:

1. التعرف على مفهوم الاستغراب ودوافعه، مقارنة بمفهوم ودوافع الاستشراق.
2. بيان الضوابط المنهجية لدراسة الغرب وفق المنهج الإسلامي.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والاستنباطي، من خلال استقراء النصوص الشرعية واستنباط الضوابط المنهجية منها، واستقراء لآراء الباحثين في علم الاستغراب ومعرفة آرائهم حول ثنائية الغرب والشرق للوصول إلى ضوابط منهجية لدراسة الغرب.

الدراسات السابقة:

جميع الدراسات السابقة لم تناقش دوافع الاستغراب مقارنة بدوافع الاستشراق، ولم تضع ضوابط منهجية لدراسة الغرب، ومن أهم الدراسات السابقة التي ناقشت الاستغراب كتاب: مقدمة في علم الاستغراب، للمفكر حسن حنفي، من إصدارات الدار الجامعية للنشر في بيروت، عام 1992م.

هذه الدراسة وغيرها ناقشت الاستغراب كرد فعل لمواجهة الاستشراق، ولم توضح الدوافع وفق منهجية شرعية، ولم تبين ضوابط التعامل في دراسة الغرب في ضوء المنهج الإسلامي.

خطة البحث:

تكونت من مقدمة، ومبحثين:

- المقدمة: اشتملت على موضوع البحث، ومشكلته وحدوده، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.
- المبحث الأول: مفهوم ودوافع الاستغراب.
- المبحث الثاني: ضوابط منهجية في دراسة الاستغراب.

المبحث الأول: مفهوم ودوافع الاستغراب :

أولاً: مفهوم الاستغراب:

مصطلح الاستغراب يأتي مقابلاً للاستشراق، وفهم دلالة هذا المصطلح يبدأ بفهم الاستشراق ورؤيته للآخر، فالاستغراب أتى نتيجة للدراسات الاستشراقية، لذلك يقول حسن حنفي: «فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا الشرق من خلال الآخر الغرب، ويظهر الاستغراب كدفاع عن النفس، وخير وسيلة للدفاع الهجوم، والتحرر من عقدة الخوف تجاه الآخر، وقلب الموازين رأساً على عقب» (حنفي،1992م، ص:30).

من تعريفات الاستشراق أنه: «علم الشرق أو علم العالم الشرقي» (زقزوق، 1409هـ، ص:24)، و(السين والتاء) للطلب، أي طلب الشرق، ويعرّف الاستشراق -أيضاً- بأنه» دراسات «أكاديمية « يقوم بها غربيون كافرون - من أهل الكتاب بوجه خاص- للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب : عقيدة ، وشريعة ، وثقافة ، وحضارة ، وتاريخاً، ونظماً، وثروات وإمكانات .. بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي» (غراب،1411هـ، ص:7)، ويرى إدوارد سعيد أن من أيسر تعريفات للاستشراق «أنه مبحث جامعي أكاديمي، فالمستشرق كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في مجال علم الإنسان، أم علم الاجتماع، أم التاريخ،

أم فقه اللغة» (سعيد، 2005م، ص:44).

أما الاستغراب فيمكن تعريفه باختصار أنه العلم الذي يهتم بدراسة الغرب -أوروبا وأمريكا- من جميع النواحي: العلمية، والأدبية، والعقدية، والتشريعية، والتاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والفنية ...إلخ (مطبقاني، 1999م، ص:3) وكلمة المستغرب تعني الذي يتبحر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها (سمايلوفتش، 1998م، ص: 35-38) و»في عالم المفاهيم يمسي الكلام على مصطلح الاستغراب أكثر تعقيداً، مرجع الأمر إلى فراديته، وخصوصيته، وإلى حداثة دخوله مجال المداولة في الفكر المعاصر، ربّما لهذه الدواعي لم يتحوّل هذا المصطلح بعد إلى مفهوم، وبالتالي إلى منظومة علميّة، لكي يتّخذ المصطلح مكانته، كواحد من مفاتيح المعرفة في الفكر العربي الإسلامي وجب أن تتوفر له بيئات راعية، نخب مدركة، ومؤسسات ذات آفاق إحيائية، وكلّ ذلك في إطار مشروع حضاري متكامل»(حيدر، 2015م، ص: 9-10).

ولا يعني الاستغراب «التعامل مع الآخر بالمنطلق نفسه الذي تعامل به معظم المستشرقين والغربيين عمومًا مع المسلمين وعلوم المسلمين وثقافتهم وعاداتهم وآدابهم؛ ذلك أن عقيدة المسلمين نفسها ومنهجهم في النظر إلى الأمور تمنع من ذلك ولا تبيحه، يقال هذا ردًّا على من قال ذلك؛ إذ إننا مطالبون بالعدل مع الآخرين، حتى أولئك الذين بيننا وبينهم عداوة، أو شنآن (النملة، 1436هـ، ص:31).

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 8).

ويرجع حسن حنفي جذور علم الاستغراب إلى «نموذجه القديم في علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارة اليونانية عندما كانت الحضارة الإسلامية ذاتاً دارساً، استطاعت أن تحوّل الحضارة اليونانية إلى موضوع دراسة، فظهر الجدل بين الأنا والآخر، جدلاً صحيحاً، الأنا ذات دارس، والآخر موضوع مدروسة بالبعثات العلمية، وإرسال الوطنيين للتعلّم من الغرب، وعودة هذه البعثات لتخلق نمطا جديدا في الفكر والثقافة بجوار النمط القديم» (حنفي،1992م، ص:58)، الاستغراب حاله كحال الاستشراق في تأثر مفهومه بثنائية الأنا والآخر، وهذه الفكرة هي نواة فكرة الاستغراب عند حسن حنفي إذ يقول:»إذا كان القدماء قد استطاعوا قراءة الآخر من منظور الأنا، فإنّنا حاليا نقرأ الأنا من منظور الآخر، لم نستطع بعد أن نردّ على الاستشراق، وهو قراءة الغرب اللاغرب، من منظور الغرب، باستشراق مضاد أو استغراب، وهو قراءة الغرب من منظور اللاغرب» (حنفي،1992م، ص:49)،

ومن خلال هذا الرأي فإن حنفي يجعل دراسة المسلمين للحضارة اليونانية هي بداية الاستغراب، الدارس هم المسلمون، والحضارة اليونانية هي موضوع الدراسة، هذا الأمر جعل من المسلمين يقرأون الآخر من موطن عزة وقوة، أما عندما تبدلت موازين القوى وأصبح الغرب في موطن القوة الحضارية انقلب الحال وأصبح كثير من المسلمين يتعرفون على ثقافتهم وحضارتهم من وجهة نظر الغرب.

ومما ينبغي التأكيد عليه أن المنهج الأسلم للتعامل مع الاستغراب أن تكون معرفة الذات سابقة لمعرفة الآخر؛ لتثبيت الهوية الإسلامية والاعتزاز بها (مطبقاني، 2005م، ص: 12-13) «إنّ القصور في معرفة الأنا يفضي إلى نتائج سلبية يؤدي إلى الانغلاق، والجمود، في حين أنّ التطلع إلى التعرّف على الآخرين يفترض سلفا قدرا من الثقة بالنفس والانفتاح. لدينا من الرصيد الحضاريّ والثقافيّ ما يمكننا من أن نتحاور على قدم المساواة مع الآخرين» (الشيخ، 2000م، ص:267)

ثانياً: دوافع الاستغراب:

الحديث عن دوافع الاستغراب لا ينفك عن تأمل دوافع الاستشراق، فالاستغراب أتى كرد فعل طبعي على ظاهرة الاستشراق، ولا يشترط أن يكون نسخة طبق الأصل منه كما أسلفنا سابقاً، وبعد التأمل يمكننا أن نحصر دوافع الاستغراب في دافعين هما: الدافع الديني، والدافع العلمي.

1. الدافع الديني:

مما ينبغي التأكيد عليه أننا أمة دعوة، وعلينا مسؤولية إيصالها إلى العالم، وبذل الوسع في تصحيح المفاهيم حول الإسلام، ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة المجتمعات التي يراد إيصال الدعوة لهم، والاستغراب وسيلة من هذه الوسائل، وهذه المهمة باستطاعة كل مسلم يعرف الغرب ووسائل التأثير عليه أن يقوم لها، ولا يشترط أن تكون البداية من المختصين بالشريعة والدعاة، كما لا يشترط أن تكون لغة الخطاب تحمل في طياتها الهجوم على مجتمعاتهم وثقافتهم، بخلاف ما بدأ به الاستشراق، الذي انطلقت شرارته الأولى من الرهبان والقساوسة النصارى، ثم استمر بعد ذلك ومعظم المستشرقين من رجال الكهنوت النصراني، وكان هؤلاء مدفوعين بدافع الانتصار للنصرانية، والرغبة بتنصير المسلمين الذين اكتسحوا إمبراطوريتهم واستطاع دينهم الحق أن يغلب النصرانية المحرفة في نفوس أتباعها، واتجه هؤلاء للطعن في الإسلام وتشويه محاسنه وتحريف حقائقه بغية إقناع جماهيرهم التي تخضع لزعاماتهم الدينية بأن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وبأن المسلمين قوم همج لصوص سفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي (حبنكة، 1420هـ، ص:127-128).

والمتأمل في الهدف الديني للاستشراق يرى أنه

كان يسير منذ البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معاً جنباً إلى جنب، وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتي :

1. محاربة الإسلام والبحث عن المشتبهات، وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيّه .. إلخ.
2. حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.
3. تنصير المسلمين (زقزوق، 1409هـ، ص: 68- 69).

هذه الهجمة غير المتكافئة من الاستشراق في زمن ضعف الأمة الإسلامية، يقابله -في الوقت الحالي- خطاب استغرابي في زمن العلم والتقدم، وسهولة الوصول إلى المعلومة، وعصر قوة الغرب المادية، هذا الخطاب الاستغرابي يوصل الرسالة، وللآخر أن يتحقق ويتأمل ويقرر، ولهذا أرى أن الهدف الديني للاستغراب يسير في ثلاث اتجاهات متوازية:

1. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وسأذكرها بشيء من التفصيل في الضوابط المنهجية.
2. تصحيح المفاهيم حول الإسلام، فقد تعرض الإسلام والمسلمون إلى حملة شرسة في الإعلام الغربي مما جعلهم موطن خطر واتهام، وهذا ما حدا بإدوارد سعيد مناقشة هذه الفكرة في كتابه: تغطية الإسلام، الذي أكد فيه أن كل الأطياف السياسية الغربية ترى في الإسلام كل مكروه في الأنساق السياسية والاجتماعية والاقتصادية، «فاليمين يرى أن الإسلام يمثل الهمجية، واليسار يرى أنه يمثل حكم الدين في القرون الوسطى، والوسط يرى أنه مثل الغرابة الممجوجة» (سعيد، 2005م، ص: 37)، ومن المعلوم أن إدوارد سعيد لم يكن مسلماً ولم يؤلف كتابه دفاعاً عن الإسلام إنما استثارته التهم الموجهة للإسلام فقال:» ما أبعد هذا الكتاب إذن عن أن يكون دفاعاً عن الإسلام فذلك أمر بعيد الاحتمال وجهد لا طائل من ورائه في حدود ما يرمي إليه الكتاب الذي يقتصر على وصف صور استعمال المصطلح (الإسلام) في الغرب» (سعيد، 1996م، ص:38) ، فهذا الجهد من فرد واحد، فكيف إذا كان وفق مشروع علمي مؤثر.
3. تقوية المجتمعات الإسلامية في الغرب- الأقليات المسلمة – واستثمارها في نشر الخطاب الإسلامي الصحيح، والأقليات المسلمة في الغرب عليها مسؤوليات عظيمة في إيصال رسالة الإسلام، كما أنها تواجه

تحديات جسيمة على مستوى الهوية، ولا أريد أن أقحم الاهتمام بالأقليات المسلمة في الموضوعات التي يعتني بها الاستغراب، إنما أردت التأكيد أن دراسة الغرب الواعية ستكون أكثر تأثيراً إن كانت ممن عاش بينهم وعرفهم عن قرب، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بتقوية هذه الأقليات ومساعدتهم في الحفاظ والثبات على هويتهم.

2. الدافع العلمي:

تقدم الغرب العلمي جعله محط أنظار الأمم الأخرى في الاستفادة من هذا التقدم، فكما هو استفاد من حضارة المسلمين في زمن سابق، وبنى عليها حضارته، فنحن -أيضاً- يجب علينا الاستفادة من قوة الغرب العلمية في جميع المجالات التي تقدَّم فيها كالتقنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وهذا من الأخذ بالقوة التي أمرنا الله -تعالى- أن نأخذ بها. وعند النظر في الدافع العلمي للاستشراق نجد أن الباحثين المسلمين لهم مواقف متباينة تجاه ذلك، بين مقر بوجود هذا الدافع عن المستشرقين، وبين مقلل من أهمية هذا الدافع، فنجد محمد الغزالي -مثلاً- يرى أن «المستشرقين جميعاً فيهم قدر مشترك من هذا الخصام المتجنَّى، والتفاوت – إن وجد بينهم- إنما هو في الدرجة فقط، فبعضهم أكثر تعصباً ضد الإسلام، وعداوة له من البعض الآخر، ولكن يصدق عليهم جميعاً أنهم أعداؤه .. وهؤلاء يريدون الاستمتاع بحق الباحث المحايد، أو بحق العالم المجتهد في أن يصيب ويخطئ، ولو أنهم عشاق معرفة مجردة، يبحثون عنها بحرارة وإخلاص لعذرنا المخطئ منهم، وأقلنا عثرته .. أما وهم محاربون خبثاء يصطنعون الطيبة للتوغل والاستمكان فهيهات أن نعاملهم إلا بذات أسلحتهم» (الغزالي، 2005م، ص:8-9). فهو لا يرى أحداً منهم منصفاً وموضوعياً في بحثه عن الإسلام، وبالمقابل يرى أحمد سمايلوفتش أن الاستشراق في بدايته كانت تسوده نزعة الاستعمار والصراع الديني بين الشرق والغرب، ثم تحول المستشرقون بعد ذلك إلى «أغراض علمية هدفها كشف ما تكنه العلوم والفنون الشرقية من كنوز ثمينة، وبتقدم هذه الدراسات اتصل حبل المودة بين الشرق والغرب وتوثقت العلاقة العلمية بين الدول الشرقية والغربية ...» (سمايلوفتش، 1998م، ص:51).

إن هذا التذبذب في الحكم على الاستشراق بأن له دافعًا علميًّا، ينبغي أن يزول تماماً في دراسة الاستغراب، وأن تكون حقيقة الاستغراب الاستفادة من التقدم العلمي عند الغرب خاصة فيما يحسنه الغرب كالمجالات التقنية، مع التأكيد على أن المسلمين تقدموا في مجالات أخرى على الغرب مثل عدد من فروع العلوم الإنسانية،

والاجتهاد في نقل العلوم والمعارف والتقنيات التي تميز فيها الغرب إلى البلاد الإسلامية لتقويتها وتمكينها من عوامل القوة، إن رفعنا لراية العلم يجب ألا يكون محل تردد أو تشكيك، وأن يكون دافعاً حقيقياً تدعمه الدول وتنفذه المؤسسات والأفراد.

ولتحقيق هذه الدوافع اقترح د.مازن مطبقاني بعض القواعد العملية لتأسيس علم الاستغراب، وهذه القواعد هي (مطبقاني، (د.ت)، ص7):

1. القرار السياسي والدعم الحكومي لدراسة الغرب.
2. البحث عن ذوي العقليات المبدعة والمبتكرة وأصحاب الرسالة.
3. توفر مكتبة تضم الكثير مما كُتب عن الغرب
4. الدراسة الميدانية للغرب في المجالات من سياسة واقتصاد واجتماع وأدب ولغة وإعلام وغيره.
5. الاستعانة بالكفاءات الإسلامية التي تعيش في الغرب.
6. الاستعانة بالمفكرين الغربيين الذين كانت لهم رؤى متميزة في نقد الحضارة الغربية.
7. معرفة الإسلام معرفةً تأصيلية واعية.
8. التعرف على برامج ومناهج الدراسات الأوروبية والأمريكية.
9. الاهتمام بالترجمة؛ لما تمثله من قنطرة مهمة في نقل تراث الآخر.

المبحث الثاني: ضوابط منهجية في دراسة الاستغراب:

الاستغراب حقل علمي وبحثي يدرس غير المسلمين – الغرب- وحتى لا يخرج الاستغراب عن مساره الشرعي فسأذكر عدداً من الضوابط المنهجية التي تساهم في تحديد البوصلة الصحيحة للاستغراب وتجعل منه مشروعاً علمياً وعملياً وفق منهجية إسلامية، وهذه الضوابط هي:

الضابط الأول: الاعتقاد بأن الإسلام حفظ حق الكرامة الإنسانية ونهى عن العنصرية:

قام الاستشراق على النظرة العنصرية لكل ما هو شرقي، وعمل المستشرقون على تشكيل صورٍ نمطية واستعارات ألصقوها في الشرق، لا تخلو من التجريح والدونية، والمبالغة في احتقار الشرقي. رغبة في إعادة بناء الشرق بعيداً عن واقعه، وفق مسلَّمات ذهنية غريبة عن ذلك الواقع، يُراد لها أن تحتل موقع الحقيقة الواقعية، مستبعدة الواقع التاريخي والنفسي للأمم الشرقية، ومستبدلة إياه بصورة خيالية، ابتكرتها مخيَّلة الإنسان الغربي، ورسمتها ريشة قلمه، معيداً –بذلك- ترتيب الوقائع والأحداث بالطريقة التي تُرضي غروره وإحساسه بالفوقية (الجابري، 2009م، ص:82)، ويرى أنور الجندي أن الكتاب الغربيين على وجه العموم تحكمهم عقدة التفوق حين ينظرون إلى البشرية فيرون أن الجنس الأبيض أكثر تقدما بحكم طبيعته(الجندي، (د.ت)، ص:22)، أما

الإسلام فقد أوجب على المسلمين النظر للإنسان سواء كان مسلماً أو غير مسلم بأن له حق الكرامة الإنسانية، وألا يعامل بعنصرية تنقص من حق كرامته التي كفلها له الإسلام، والقاعدة العامة في تكريم الإنسان مستمدة من قول الحق عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء:70)،

ومن أهم مظاهر التكريم الإلهي للإنسان مايلي (الطعيماني، (د.ت)، ص:18-20):

1. استواء الخلق : فقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بحسن الصورة ، واستواء الخلقة ، فهو يمتاز عن الحيوان بقامة مستقيمة ، وخلق سوي، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين: 4)، ويقول عز وجل : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ (التغابن :3) ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار:6-8)
2. السمو الروحي : فالإنسان وإن شابه الحيوانات في تكوينها المادي، غير أنه خالفها في التكوين المعنوي، فقد كرمه الله تعالى بأن نفخ فيه من روحه، تلك النفخة التي استحق بها سجود الملائكة له بأمر الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص:71-72) . وهذا التكريم الإلهي إنما هو تكريم للنوع الإنساني في شخص آدم عليه السلام .
3. استخلافه في الأرض : فقد جعل الله تعالى الإنسان خليفة في الأرض ليعمرها ويستثمر ما فيها من خيرات . والخلافة في الأرض منزلة تشوفت إليها الملائكة فلم يعطها لهم الله تعالى ومنحها للإنسان، وفي ذلك يقول عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً . قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ. قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:30)

فمنهج الإسلام في التعامل مع غير المسلم لا يكون وفقاً للأهواء والرغبات الشخصية، بل مضبوط بنصوص شرعية محكمة يجب على الباحث المسلم الوقوف عندها، وهذا المنهج يجعلنا نضع ثنائية الأنا والآخر في ميزان الإسلام، فالأنا عند المسلم هي عزته بدينه وإسلامه وهويته، والآخر هو غير المسلم الذي لا ينقص عنا شيئاً في إنسانيته، إلا أنه ضل الحق ولم يهتد إلى منهاج النبوة، هذا الميزان العدل كفيل بأن يسهم في دراسة الغرب بما فيه من جوانب حسنة وسيئة، ويرى حسن حنفي أنه قد "ينتج عن علم الاستغراب أن تشهد الإنسانية عصراً جديداً، يختفي منه داء العنصرية

الدفين، الذي نشأ إبّان تكوّن الوعي الأوربي، حتى أصبح جزءاً من بنيته، وبالتالي تختفي عدوانية الشعوب على بعضها البعض فيرى الوعي الأوربي حدوده، كما يرى الوعي اللاأوربي إمكاناته، فلعلّ كلًّا منهما يصل إلى منتصف الطريق، لخلق وعي إنساني جديد» (حنفي،1992م، ص:56).

الضابط الثاني: التعامل بالعدل:

العدل في الإسلام قيمة عالية، وهو من أسمى قواعد الشريعة، والله سبحانه وتعالى موصوف بالعدل في قوله وفعله، وكفى بذلك دليلاً على المكان الأسمى للعدل في الإسلام، والعدل ضد الجور والظلم فإذا كان العدل وهو الحق، فإن مجاوزة الحق هي الظلم والجور (عمارة، 2004م، ص:63). والعدل في شرعة الإسلام فريضة واجبة، فرضها الله سبحانه وتعالى على الكافة دون استثناء ، وذلك في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:10)

وفريضة العدل - في الإسلام - واجبة على العموم ، بصرف النظر عن العقائد والشرائع الدينية التي يتدين بها من لهم الحق فيها ، فهي فريضة واجبة سواء أكان الأمر تجاه المؤمنين أو الكفار ، تجاه الأصدقاء أو الأعداء ، يقول تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهَّ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ. وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 8) يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:» أي : لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل في كل أحد ، صديقا كان أو عدوا، ولهذا قال ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي : عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه» (ابن كثير، 1997م، ج:1، ص:61).

وبالنظر إلى الاستشراق فإنه جعل المسلمين موضوعاً لدراسته في مجلات متعددة كالدين واللغة والجغرافيا والتاريخ والحضارة وغيرها، وتعرّض العالم الإسلامي للظلم من قبل عدد كبير من المستشرقين المتعصبين، فلم يُدرس الإسلام والمسلمون بعدل وإنصاف، إن جانباً كبيراً من تاريخ الاستشراق يحمل في داخله طابع الموقف الأوروبي المشْكِل إزاء الإسلام، وهذا الجانب البالغ الحساسية من الاستشراق هو الذي يدور حوله اهتمام عدد من الباحثين في الاستشراق وأبرزهم إدوارد سعيد (سعيد، 2006م، ص:143)، الذي اقتصر على الخبرة الأنجلوفرنسية والأمريكية بالعرب والإسلام ويذكر سبب اهتمامه بذلك بأنهما «الموضوعان اللذان ظلا يمثلان الشرق معاً على مدى ما يقرب من ألف عام .. فلقد كان عليَّ –والكلام لإدوارد سعيد– في المقام الأول أن أحصر تركيزي حصراً صارماً في المادة البريطانية – الفرنسية ومن بعدها الأمريكية، بعد أن بدت لي حتمية صدق القول بأن بريطانيا وفرنسا كانتا

الدولتين الرائدتين في الشرق والدراسات الشرقية، وإلى جانب ذلك نجد أن هذه المواقع الرائدة قد تحققت لهما بفضل أعظم شبكتين استعماريتين في تاريخ ما قبل القرن العشرين، وأما الموقع الأمريكي في الشرق منذ الحرب العالمية الثانية فقد نشأ – وأعتقد أنه اتسم بارتباك مؤكد- في المناطق التي اكتشفتها الدولتان الأوروبيتان اللتان سبقتا إليها. أضف إلى هذا –أيضاً- أن جودة الكتابات البريطانية والفرنسية والأمريكية عن الشرق، واتساقها وضخامة حجمها يجعلها في اعتقادي تتفوق على العمل الذي أنجزته ألمانيا وإيطاليا وروسيا وغيرها، رغم أنه عمل بالغ الأهمية، وإن كنت أظن –أيضاً- أنه من الصحيح القول بأن الخطوات الكبرى في الدراسات الشرقية قد اتُّخِذت أول ما اتُّخِذَتْ إما في بريطانيا أو في فرنسا، ثم زاد عليها وطورها الألمان» (سعيد، 2006م، ص: 63-65).

التعصب الذي كان سمة لعدد من المستشرقين ترك آثاراً سلبية في المجالات العقدية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، فقادهم التعصب إلى أن يتخذوا طريقاً محفوفاً بالمخاطر حيث تراهم يفرضون فرضاً يتفق مع أهوائهم ثم يبحثون في القرآن أو الحديث أو الآثار المختلفة عن الأدلة التي تؤيد وجهة نظرهم (الجندي، (د.ت)، ص:153).

وعند نقاش موضوع الاستغراب ينبغي التأكيد أن العدل سمة إسلامية في البحث العلمي، ويجب أن يتحلى بها دارس الغرب، فنحن لا نريد أن يكون الاستغراب مثلما كان الاستشراق، بل نريد أن يكون أرقى في التفكير، وأنبل في الأهداف، وينبغي أن يكون هدف هذا الاستغراب هو إعطاء القارئ العربي معرفة أفضل وأدق بالبلدان الغربية، ودرجة تطورها، فالاستغراب لا بد أن يكون متميزًا ومختلفًا بصورة واضحة عن الاستشراق (الشيخ، 2000م، ص:319).

الضابط الثالث : أن يكون الدارس عارفاً بأصول الإسلام:

الاتصال بالحضارات والأمم الأخرى يتطلب حصانة ذاتية وعمقًا معرفيًّا في أصول الإسلام وعقيدته وشريعته، فلا يستقيم أن يذهب باحث لدراسة الغرب وهو جاهل في أصول دين، بل حتى معيارية الخطأ والصواب لا تنضبط لديه إذا لم يكن ضليعاً في مبادئ دينه وقيمه، ومن يرى من نفسه الاتجاه لدراسة الغرب فيجب أن يبدأ بنفسه ويتوسع في معرفة وجود خالقه وما له من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، والتأمل في آياته الدالة على عظمته يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: 37)، وأن يتعرف الباحث على أركان الإيمان والإسلام وما فيها من تفريعات واختلاف الإسلام عن غيره في

تفاصيلها، فالإيمان بالرسل والكتب واليوم الآخر لها تفاصيل في العقيدة الإسلامية، تختلف عن إيمان الأمم الأخرى بالرسل والكتب والغيبيات. ومن يتصل بالغرب سيجد نفسه مضطراً للدخول في تفاصيل شرعية لعدد من الشبهات التي تتداول حول الإسلام، كمكانة المرأة في الإسلام والحجاب، والصيام والحج وتحريم أكل لحم الخنزير وشرب الخمور وغيرها كثير، فالباحث الذي يقف على أرض صلبة من خلال التعمق في أصول الدين سيجد نفسه محاطاً – بعون الله- بسياج علمي يحميه من طوفان الأفكار الغربية وتغلغل الشبهات إلى قلبه، وتعينه على الثبات والبعد عن تقديم تنازلات في ثوابت دينه.

الضابط الرابع: الدعوة إلى الإسلام:

الاستشراق في بداياته جمع بين التنصير والاستعمار، وهذا ما يؤرخ له أنور الجندي بقوله» منذ أوائل القرن التاسع عشر تقريباً بدأت عملية الغزو التبشيري في بطء وأناة متصلة بخطوط أخرى كالاستشراق والصحافة كأجهزة مترابطة لتحقق السيطرة الاستعمارية» (الجندي، (د.ت)، ص6)، فالأطماع الاستعمارية للغرب كانت من أهم أسباب دراسة الشرق في ذلك الوقت، ولا ينبغي لنا نحن المسلمين أن يكون منطلقنا في دراسة الغرب لأجل أطماع دنيوية فحسب، علاقة المسلم بغير المسلم منطلقها الدعوة إلى الله، فنحن أمة دعوة، ورسالة نبينا -صلى الله عليه وسلم- خاتمة الرسالات، ودعوته للبشر عامة على اختلاف أعراقهم ولغاتهم وأديانهم، يقول الله عز وجل: ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (الأعراف: 158)، فمحمد – صلى الله عليه وسلم – رسولٌ للناس جميعاً، وعلى ذلك جرت سنته، ففي الحديث عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن نبي الله- صلى الله عليه وسلم – كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وليس النجاشي الذي صلى عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – (مسلم، 1991، ص:852، رقم الحديث 1774).

هداية البشرية ودلالتها على الدين الحق، لا يمكن أن يقوم بها إلا من عرف الحق وعمل به، ولا دين حق إلا الإسلام ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران:85) هذا النور الذي هدانا الله -تعالى- إليه من الواجب علينا دلالة البشرية إليه، وعند دراستنا للغرب وفهم طبيعة أهله ينبغي استحضار هذا الواجب الشرعي، ومعرفة أفضل الطرق لإيصال الرسالة الإسلامية لهم، ودعوتهم على بصيرة، ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ .وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (يوسف:108) يقول الله تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمراً له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي

طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي» (ابن كثير، 1997م، ج:4، ص:422). من العلم والبصيرة في دراسة الغرب أن نعرف معتقداتهم والأفكار المؤثرة في حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبشكل عام الغرب هم أهل كتاب ودعوتهم تختلف عن دعوة أتباع الأديان الوثنية، وهذا مسلك شرعي فعله النبي –صلى الله عليه وسلم– في دعوته، فعندما بعث معاذ – رضي الله عنه – إلى اليمن؛ أخبره عن حال المدعوين الذين سيوجه لهم الدعوة، وأنهم أهل كتاب فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللهَّ –صلى الله عليه وسلم– لَّما بَعَثَ معاذ بن جبل إِلَى الْيَمَن قَالَ له: «إِنَّكَ تأتي قَوماً من أَهْل الكِتَاب، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شهادة أن لا إله إلا الله» – وفي رواية: «إلى أن يوحدوا الله –، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أَنَّ اللهَّ افترَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كل يَوْم وَلَيْلَة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أَنَّ اللهَّ افترَضَ عَلَيْهِمْ صدقة تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فإن هم أَطَاعُوك لذلك فإياك وكرائم أَمْوَالِهِمْ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (البخاري، 200م، ص:354، رقم الحديث 1458) و (مسلم، 1991، ج:1، ص:50 ، رقم الحديث 19) يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – مبيناً حكمة ذلك: «هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان» (ابن حجر، 1986م، ج:3،ص:73).

وبيّن الله تعالى طرق الدعوة إليه في قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ. وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ. وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (يوسف:108) ويوضح الشوكاني هذه الطرق في تفسيره بقوله: «وسبيل الله هو الإسلام (بالحكمة) أي بالمقالة المحكمة الصحيحة، قيل وهي الحجج القطعية المفيدة لليقين (والموعظة الحسنة) وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها. قيل وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة، قيل: وليس للدعوة إلا هاتان الطريقتان، ولكن الداعي قد يحتاج مع الخصم الألد إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل، ولهذا قال سبحانه: (وجادلهم بالتي هي أحسن)، أي: بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة» (الشوكاني، 1995، ج:3،ص:73)، وللعلماء مصنفات عدة في آداب وضوابط الحوار

والمجادلة والمناظرة مع غير المسلمين وليس هذا موطن استعراضها، والذي أردت أن أخلص إليه أن دراسة الغرب مرتبطة ارتباطاً وثيقًا برسالة الإسلام والدعوة إلى الله تعالى.

الضابط الخامس: الثقة بالهوية الإسلامية وتجنب عقدة الدونية:

هناك فكرتان معيقتان لدراسة للغرب: عنصرية الغرب من جهة، والشعور بالدونية عند الشرقي من جهة أخرى، فالتعامل مع الأولى كما في قاعدة تكريم الله الإنسان، وعدم التعامل بالمثل مع الغرب في مسألة العنصرية المقيتة، والفكرة الأخرى هي التي أشير لها في هذه القاعدة بأن ندرس الغرب متحررين من عقدة النقص، والاعتزاز بهويتنا، فكما أن الغرب يملك عوامل التفوق العلمي والتقني والمادي ، فإن ديننا ومجتمعاتنا تملك عوامل التفوق الأخلاقي والمعنوي، وهذا ما يؤكد عليه محمد الغزالي بقوله: «الحياة في أوربا تمتاز بأنّها ماديّة مغرقة، وأنّ صلتها بالله واهيّة، أو صورية أو مبثوثة، والإنسان في الغرب يعبد الحياة، وينحصر في مطالبها، وقد يقال أنّ حضارة الغرب التفتت بالفعل إلى الكون الكبير كان لانتفاعها به، لا لتزوّد منه باليقين الواجب والإيمان المبرور» (الغزالي، 2005م ، ص: 36).

إن تفوق الغرب يجب أن يكون محفزاً للبحث عن أسباب هذا التفوق والاستفادة منه، لا أن يكون محبطاً للباحث المسلم، وبعبارة أخرى: يجب أن ندرس الغرب ونحن على يقين وثقة بديننا، إن دراسة الغرب بهذه النفسية الواثقة لها أثر كبير في النظرة الموضوعية والمتوازنة لهذه الدراسة، أما النفسية المنهزمة والتي تشعر بدونية ستكون أسيرة لعقدة النقص هذه مما سيؤثر على نتائج الدراسات المتعلقة بالغرب.

ونصوص الكتاب والسنة مليئة بالأدلة التي تؤكد اعتزاز المسلم بدينه، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون:8)، وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (الزخرف: 43-44) يقول الطبري عند قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ" (يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن الذي أوحي إليك يا محمد الذي أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش،) وَسَوْفَ تُسْأَلُون (يقول: وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه، وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه، وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه» (الطبري، 2001م، ج:2، ص:602)، ومن المقولات المليئة عزة قول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: « إنا كنا أذلّ قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العِزَّ بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله». (الحاكم، 2002م، ج:1، ص:130، رقم الحديث 207) و(الألباني، 2000م، ج:3، ص:100-101، رقم

الحديث 2893).

وقد سعى الاستشراق إلى إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم من خلال:

1. التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث، وبما عندهم من عقيدة وشريعة وقيم إنسانية، والغرض من ذلك أن يفقد المسلمون ثقتهم بأنفسهم، ويرتموا في أحضان الغرب، يستجدون منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ والعقائد والحلول لمشاكلهم الحياتية والعادات والتقاليد وأنواع السلوك؛ ليتم للغرب بذلك إخضاع المسلمين لحضارته وثقافته إخضاعاً كاملاً.
2. إحلال مفاهيم جديدة، أو إحياء مفاهيم ماتت منذ تمكن الإسلام من قلوب المسلمين، كالقوميات الفرعونية، والفينيقية، والآشورية، والعربية، الكردية، والتركية، والفارسية ونحو ذلك؛ ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الإسلامية الواحدة، التي تجمعها رابطة واحدة، هي وحدة الدين الذي يهيمن على جميع مشاعر الإنسان الداخلية وسلوكه الظاهر .

السيطرة على بلدان العالم الإسلامي، وعلى الشعوب الإسلامية، طمعاً باستغلال الأرض واستعباد الناس والسيطرة على كل شيء وسيلة لتحقيق أهوائهم ورغباتهم، حتى يصلوا إلى هدفهم الأسمى بأن يكون لهم العلو في الأرض (حبنكة، 1420هـ، ص:129-130)، ويلخص حسن حنفي مهمة علم الاستغراب بأنها « القضاء على المركزية الأوربية، وردّ ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعية، بعد أن انتشر خارج حدوده إبان عنفوانه الاستعماري، وإعادة التوازن للثقافة الإنسانية، وتصحيح المفاهيم، بإعادة كتابة تاريخ العالم من منظور أكثر موضوعية وحياداً وعدلاً لمدى مساهمة الحضارات البشرية في تاريخ العالم، وإنهاء أسطورة كون الغرب ممثلا للإنسانية جمعاء»(حنفي،1992م، ص:40)، ونلمس من كلام حسن حنفي التحدي الكبير الذي فرضه الاستعمار، الذي أوجد خللاً في التوزان الثقافي، وعدم حياديته في كتابة تاريخ العالم، ذلك لأن المسيطر كتبها وفقاً لهواه وتضخيماً لذاته، ولهذا يرى أن الاستغراب لديه مهمة كبيرة في إعادة هذا التوازن، وبالتأمل لإنتاج إدوارد سعيد في دراسة الاستشراق نرى بوضوح اعتزازه بهويته العربية، وثقته بقدراته العلمية، ومبادرته وشجاعته في طرح أفكاره، وهذه العوامل كلها جعلت منه اسماً فارقاً في دراسات الاستشراق، وإن كانت منطلقاته الفكرية ليست إسلامية، لكنّ ثقته كرجل شرقي بهويته تستحق التأمل، ومن يريد أن يدرس الغرب من المسلمين فعليه أن يتحلى بثقته بدينه ولغته وقيمه، فهذه هي الروح الباعثة للإبداع.

ويربط فؤاد سزكين بين شعور الغرب بالتفوق وبين مشاعر الدونية عند المسلمين بقوله إن:» السر خلف فكرة اختلاف العالم الثقافي، التي يُعوّل عليها الأوروبيون يكمُنُ في شعورهم بالتفوّق على العالم الإسلامي، والذي بدأ يتكوّنَ لديهم في مطلع القرن السابع عشر، ومسألة التفوّق التي تطورت بشكل مطرد في القرون الأربعة الماضية حقيقة واقعيّة، وهناك حقيقة واقعيّة أخرى، ألا وهي استيقاظ مشاعر الدونية لدى المسلمين الذين رأوا هذا التفوّق الغربي .. وإن حقيقة التفوّق هذه وتحققها تواجهنا بصفتها واحدة من أكثر المشكلات المهمّة في تاريخ الثقافة والحضارة، كما أنها تُعتبر واحدة من أكثر المشكلات التي قدّمت وشاعَت بشكل خاطئ للغاية» (يلمار، 2015م، ص:132)، ويرى سزكين أن تجاوز هذه العقبة يكون بالتصرف بشكل حضاري وبإيمان كبير، دون السماح لليأس بأن يتسلل إلى النفوس، ويؤكد أن هذه الثقة يجب أن تكون من الأفراد قبل الدول(يلمار، 2015م، ص:133-134)،

ومن خلال هذا الاستعراض لهذا الضابط يتبين أهمية الاعتزاز والثقة بالهوية الإسلامية، ودراسة الآخر بتوازن وعدل، من خلال التأكيد على جوانب تفوقه والاستفادة منها، ومعرفة جوانب نقصه وتجاوزها، وضرورة إيصال رسالة الإسلام بنقائها وصفائها هداية للبشرية.

خاتمة

توصلت الدراسة إلى عددٍ من النتائج أهمها ما يلي:

1. مفهوم الاستغراب مرتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الاستشراق والموقف منه، ونعني بالاستغراب الحقل الذي يهتم بدراسة الغرب -أوروبا وأمريكا- من جميع النواحي: العلمية، والأدبية، والعقدية، والتشريعية، والتاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والفنية.
2. المنهج الإسلامي يوجب علينا التعامل مع الاستغراب بطريقة تختلف عن تعامل المستشرقين، ففي الإسلام قيم وشريعة تؤطر التعامل وتضع المنهجية لدراسة الغرب.
3. الدافع الديني للاستغراب ينحصر في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، تصحيح المفاهيم الخاطئة حول الإسلام، تقوية المجتمعات الإسلامية في الغرب- الأقليات المسلمة – واستثمارها في نشر الخطاب الإسلامي الصحيح.
4. حقيقة الدافع العلمي للاستغراب تنطلق من حاجة المسلمين للتقدم العلمي عند الغرب، ونقل هذه العلوم والمعارف والتقنيات إلى البلاد الإسلامية لتقويتها وتمكينها من عوامل القوة، وإن اختلف الباحثون في حقيقة الدافع العلمي للاستشراق فيجب ألا يكون هذا

الاختلاف في الاستغراب -أيضاً-، فالدافع العلمي في الاستغراب حقيقي ويعبّر عن احتياج.

5. يمكننا حصر الضوابط المنهجية للتعامل مع الاستغراب وفق الرؤية الإسلامية في هذه الضوابط:
   - الضابط الأول: الاعتقاد بأن الإسلام حفظ حق الكرامة الإنسانية ونهى عن العنصرية.
   - الضابط الثاني: التعامل بالعدل.
   - الضابط الثالث : أن يكون الدارس عارفاً بأصول الإسلام.
   - الضابط الرابع: الدعوة إلى الإسلام.
   - الضابط الخامس: الثقة والاعتزاز بالهوية الإسلامية وتجنب عقدة الدونية.
6. يوصي الباحث بإنشاء مراكز دراسات أكاديمية لدراسة الغرب، حتى يتحول الاستغراب من جهود فردية إلى عمل أكاديمي مؤسسي، فذلك أدعى للاستمرار وأعمق أثراً في النتائج.

وفي ختام هذا البحث أسأل الله -تعالى- أن أكون قد وفّقتُ وفقت إلى وضع إطار شرعي لدراسة الغرب، وأسأله أن يجعل هذا العمل مباركاً وخالصاً لوجهه الكريم.

المصادر والمراجع

أولاً/ المصادر والمراجع العربية:

ابن حجر، أحمد بن علي. (1986م). فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري. ط.1، القاهرة: دار الريان.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1997م) . تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي السلامة. ط.1، الرياض: دار طيبة.

الألباني، محمد ناصر الدين . (2000م). صحيح الترغيب والترهيب. ط.1، الرياض: مكتبة المعارف.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (2002م). صحيح البخاري. ط.1، دمشق: دار ابن كثير.

الجابري، صلاح. (2009م). الاستشراق قراءة نقدية. ط.1، دمشق: دار الأوائل.

الجندي، أنور. (د . ت). أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع. (د . ط)، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

الجندي، أنور. (د . ت). تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين 1920-1940.(د . ط)، القاهرة: دار الاعتصام.

الجندي، أنور. (د . ت). التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة. (د . ط)، القاهرة: دار الأنصار.

حبنكة، عبدالرحمن حسن. (1420هـ). أجنحة المكر الثلاثة. ط. 8، دمشق: دار القلم

حنفي، حسن. (1992م). مقدمة في علم الاستغراب. (د. ط)، بيروت: الدار الجامعية للنشر.

الحاكم، محمد عبدالله .(2002م). المستدرك على الصحيحين، ت:مصطفى عطا، منشورات محمد علي بيضون. ط. 2، بيروت: دار الكتب العلمية.

حيدر، محمود. (2015م). لماذا الاستغراب. دورية الاستغراب. المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. مكتب بيروت، العدد الأول، السنة الأولى.

زقزوق، محمود حمدي. (1409هـ) . الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ط. 2، القاهرة: دار المنار.

سعيد، إدوارد. (2006م). الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق. ترجمة: د.محمد عناني. ط. 1، القاهرة: دار رؤية.

سعيد، إدوارد. (1996م). تعقيبات على الاستشراق. ترجمة: صبحي حديدي. ط. 1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

سعيد، إدوارد. (2005م). تغطية الإسلام. ترجمة: د.محمد عناني. ط. 1، القاهرة: دار رؤية.

سمايلوفتش ، أحمد. (1998م). فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. ط. 2، القاهرة: دار الفكر العربي.

الشوكاني، محمد بن علي. (1995م). فتح القدير. ط.1، صيدا: المكتبة العصري.

الشيخ، أحمد. (2000م) . من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب. ط. 1، القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية .

الطبري، محمد بن جرير. (2001م). جامع البيان عن تأويل القرآن. ت:عبدالله التركي. ط. 1، القاهرة: دار هجر.

الطعيمان، هاني. (د.ت). حقوق الإنسان وحرياته الأساسية. (د.ط)، الأردن: دار الشروق.

عمارة، محمد. (2004م). الإسلام وحقوق الإنسان: ضرورات لا حقوق. ط.1، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر.

غراب، أحمد عبدالحميد. (1411هـ). رؤية إسلامية للاستشراق. ط. 2، بيرمنجهام: المنتدى الإسلامي.

الغزالي، محمد. (2005م). دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. ط. 7، القاهرة: دار نهضة مصر.

الغزالي، محمد. (2005م). ظلام من الغرب. ط. 4، القاهرة: دار نهضة مصر.

مطبقاني، مازن صلاح، خطوات عملية لدراسة الغرب. كتاب مخطوط حصلت عليه من المؤلف، تحت الطبع.

مطبقاني، مازن صلاح. (2005م). الغرب من الداخل دراسة للظواهر الاجتماعية. ط.2، الرياض.

مطبقاني، مازن صلاح . (1999م). متى ينشأ علم الاستغراب. (د.ط)، الرياض: وحدة دراسات العالم الغربي بمركز الملك فيصل.

النملة، علي. (1436هـ). كنه الاستغراب. ط.2، الرياض.

النيسابوي، مسلم بن الحجاج. (1991م). صحيح مسلم. ت:محمد فؤاد عبدالباقي. ط.1، القاهرة: دار الحديث.

يلماز، عرفان. (2015م). مكتشف الكنز المفقود فؤاد سزكين.ترجمة:أحمدكمال.ط.1،القاهرة:دارالنيل.

ثانياً/ المصادر والمراجع الأجنبية والعربية المترجمة للإنجليزية:

Abn Hajar, A. (1986). Fath al-Bari bi Sharh Sahih al-Bukhari (in Arabic). 1st ed., Cairo: Dar Al-Rayyan.

Ibn Kathir, I. (1997). Tafsir al-Qur›an al-›Adhim (in Arabic). Authenticated and verified by: Sami Al-Salama. 1st ed., Riyadh: Dar Taiba.

Albani, M. (2000). Sahih al-targhib wa-al-tarhib (in Arabic). 1st ed., Riyadh: Almaaref.

Al-Bukhari, M. (2002). Sahih Bukhari (in Arabic). 1st ed., Damascus: Dar Ibn Kathir.

Al-Jabri, Salah. (2009). Orientalism reading reviews (in Arabic). 1st ed., Damascus: Dar Al-Awael.

Aljundi, A. (n.d). The errors of the western curriculum in the beliefs, history, civilization, language, literature and sociology (in Arabic). Beirut: Lebanese Book House.

Aljundi, A. (n.d). A history of intellectual conquest and alienation during the period between the two world wars, 1920-1940 (in Arabic). 1st ed., Cairo, Dar Aleatisam.

Aljundi, A. (n.d). Christianization, Orientalism, and destructive vocations (in Arabic). 1st ed., Cairo, Dar Alansar.

Habanaka, A. (1420 AH) The three cunning wings (in Arabic). 8th ED, Damascus: Dar Al-Qalam.

Hanafi, H. (1992). An introduction to the Occidentalism (in Arabic, 1st ed.), Beirut: University Publishing House.

Alhakem,M. (2002). Al-Mustadrak Ala Al-Sahihin (in Arabic). Authenticated and verified by Mustafa Atta. 2nd ed., Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Haider, M. (2015). Why the Occidentalism (in Arabic). The

Occidentalism Magazine. The Islamic Center for Strategic Studies. Beirut office, first year.

Zaqzouq, M. (1409 AH). Orientalism and the intellectual background of civilizational conflict. 2nd ed., Cairo: Dar Al-Manar.

Said, E. (2006). Orientalism (in Arabic). Translated by: Dr. Mohamed Anani, 1st ed., Cairo: Dar Ro'ya.

Said, Edward. (1996 AD). Commentaries on Orientalism (in Arabic). Translated by: Sobhi Hadidi. 1st ed., Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

Said, E. (2005). Covering Islam (in Arabic). Translated by: Dr. Mohamed Anani. 1st ed., Cairo: Dar Ruya.

Smaylovitch, A. (1998). The philosophy of Orientalism and its impact on contemporary Arab literature (in Arabic). 2nd ed., Cairo: Dar Alfekr Alarabi.

Al-Shawkani, M. (1995). Fatih Alqader (in Arabic). 1st ed., Sidon: Almaktabah Alasreah.

ASheikh, A. (2000). From a Critique of Orientalism to a Critique of Occidentalism : Arab Intellectuals and the West (in Arabic). 1st ed., Cairo: Arab Center for Western Studies.

Al-Tabari, M. (2001). Jami al-Bayan an Tawil al-Quran (in Arabic). Authenticated and verified by: Abdullah Al-Turki. 1st ed., Cairo: Dar Hajar.

Al-Taiman, H. Human rights and fundamental freedoms (in Arabic). Jordan: Dar Alshorooq.

Amara, M. (2004-2005). Islam and human rights - necessities, not rights (in Arabic). 1st ed., Cairo: Dar Al Salam for Printing and Publishing.

Ghorab, A. (1411 AH). An Islamic view of Orientalism. 2nd ed., Birmingham: Almontada Alisalmi.

Al-Ghazali, M. (2005) Defense of the Faith and Sharia against the The Orientalists lied (in Arabic). 7th ED, Cairo: Dar Nahdet Misr.

Al-Ghazali, M. (2005. Darkness from the west (in Arabic). 4th ed., Cairo: Dar Nahdet Misr.

Mutabagani, M, Practical Steps to Study the West (in Arabic). Under print.

Mutabagani, M. (2005). The West from the Inside is a study of social phenomena. 2nd ed., Riyadh.

Mutabagani, M. When will The Occidentalism Arise (in Arabic). Riyadh: Western World Studies Unit at the King Faisal Center.

Alnamlah, A. (1436 AH). Konh Alestghrab (in Arabic). 2nd ed., Riyadh.

Al-Nisaburi, M. (1991). Sahih Muslim (in Arabic). Authenticated and verified by: Mohamed Fouad Abdel-Baqi. 1st ed., Cairo: Dar Al Hadith.

Yilmaz, I. (2015). Finder of the lost treasure Fouad Sezkin (in Arabic). Translated by: Ahmed Kamal. 1st ed., Cairo: Dar El Nile.